Journal of Al-Tamaddun, Vol. 16 (1), 2021, 181-193
https://doi.org/10.22452/JAT.vol16no1.13

دور الأنظمة العربية في اغتيال فلسطين ونكبة 1948

(The Role of the Arab Regimes in the Assassination of Palestine and the Nakba of 1948)

Mohammed Amezzian*

ملخص

يناقش هذا البحث الحيثيات التاريخية التي أدت إلى ضياع فلسطين ووقوعها تحت الاحتلال الصهيوني. بداية, يستعرض البحث التناقض الكبير بين الموقفين الشعبي والرسمي في التعامل مع المشروع الصهيوني الذي بدأ يثبت أقدامه على أرض فلسطين منذ أوائل القرن العشرين. على المستوى الشعبي, تبرز هذه الورقة الدور الذي قام به القادة الفلسطينيون بدعم شعبي عربي إسلامي في تأجيج المقاومة والدخول في مواجهة عسكرية مفتوحة ضد كل من الانتداب البريطاني والجماعات اليهودية المسلحة, من خلال الوقوف على أبرز الإنجازات العسكرية التي حققتها المقاومة المسلحة. وبالمقابل, تستعرض الورقة الدور السلبي الذي قامت به القيادات الرسمية العربية في إجهاض الثورات الشعبية واحتواء التمرد العسكري المتزايد تحت الضغط البريطاني. وإلى جانب هذا الموقف السلبي من الحراك الشعبي, عملت هذه الورقة على إبراز حالة اللامبالاة التي تعامل بها الموقف الرسمي العربي مع القضية الفلسطينية, والتي أدت إلى نكبة 48, وركزت فيها على أربعة عناصر: تبني دبلوماسية الاحتجاج, واستبعاد الحل العسكري لمواجهة المد الصهيوني المتزايد على الأرض, والقبول بقرار التقسيم الذي شكل النواة الأولى لقيام الدولة اليهودية, والقبول بالهدنة بعد حرب 48 وهو ما كان يترجم اعترافا بحق الدولة اليهودية في الوجود.

Abstract

This research discusses the historical backgrounds that led to the Zionist occupation of Palestine. It demonstrates the significant contrast between the official and popular positions in dealing with the Zionist project that began its invasion to Palestine at the beginning of the 20st century. The research demonstrates the role of the Palestinian leaders who were supported by the popular Islamic and Arab movements in intensifying resistance and military conformation against the British mandate and Jewish armed groups. In addition, the research identifies the most prominent military achievements of the armed resistance. This paper also documents the negative role of the official Arab regimes in deterring the popular revolutions and containing the developing of military rebellions. More importantly, this research has proven that the official position of the Arab governments served against the Palestinian cause by preventing the genuine armed popular movements from fighting the Zionist project, which had consequently led to the defeat (Nakba) of 1948. To study the official position of Arab leaders, the research puts emphasis on four elements: Adoption of a protest diplomacy, Exclusion of the military solution to confront the Zionist project expansion, Acceptance of the United Nations Resolution regarding the partition of Palestine which shapes the first core for establishing the Jewish State, and finally Acceptance of the ceasefire after 1948 war which represents a recognition of the right of existence of the Jewish State.

***Keywords**: British Mandate, Occupation of Palestine, Partition Resolution, Armistice Agreements, War 1948*

مقدمة

ارتبط الحراك الفلسطيني والعربي ضد النشاط اليهودي في فلسطين بتداعيات وعد بلفور ومخاطره على مستقبل الوجود العربي في فلسطين, ومن ثم كان نشاطهم النضالي المعادي للصهيونية تاريخيا سابقا للانتداب البريطاني واحتلال فلسطين سنة 1920. ومن المفارقات التي سجلها الكاتب اليهودي ميكاييل كوهين (Michael J. Cohen) أن إصدار بريطانيا لوعد بلفور وتمكينها اليهود من تأسيس وطن قومي لهم على أرض فلسطين جاء في وقت كانت فيه نزعة معاداة السامية على أشدها في بريطانيا, ومن ثم لم يكن ذلك القرار ناتجا عن تعاطف ديني مع اليهود بل لأغراض مرتبطة بالمصالح البريطانية في المنطقة.[1] لقد كانت بريطانيا ترغب في التخلص من اتفاقية سايكس بيكو بهدف إقصاء الوجود الفرنسي, وضمان هيمنتها, ومن هنا نشأت الحاجة إلى الاستفادة من خدمات الصهاينة مقابل وعدهم بمساعدتهم على إنشاء وطن قومي لهم على أرض فلسطين.[2] ومن جهته, يؤكد المؤرخ الفلسطيني نور الدين مصالحة أن ظهور الصهيونية ارتبط بالتعصب العنصري الأوروبي واستفحال المد الاستعماري, ولذلك كان واضحا منذ البداية بالنسبة للقادة الصهاينة الأوائل أمثال هيرتزل ووايزمان وبن

* Mohammed Amezzian (Ph.D), Professor, College of Sharia and Islamic Studies, Qatar University. Email: mamezzian@qu.edu.qa.
[1] Michael Cohen (2014), *Britain's Moment in Palestine Retrospect and Perspectives, 1917–48*, New York: Routledge, p. 5.
[2] *Ibid*., p. 44.

غوريون أن الدولة اليهودية ستكون جزء من الهيمنة الاستعمارية الأوروبية, كما أن المشروع الصهيوني لا يمكن تحقيقه وضمان وجوده إلا بدعم من القوى الإمبريالية الأوروبية.[3] وهذا البعد الإمبريالي سيصاحب القضية الفلسطينية قبل تأسيس الكيان الصهيوني وبعده, وكان ينبغي أخذه في الحسبان في إدارة عملية الصراع ضد الوجودين الأوروبي والصهيوني معا , وليس فقط ضد الكيان الصهيوني الغاصب.

والواقع أن فهم القضية الفلسطينية ضمن هذا السياق الإمبريالي كان حاضرا بقوة لدى الحركات الشعبية التي قادت النضال الفلسطيني منذ بواكيرها الأولى داخل فلسطين وخارجها حيث كان الحراك النضالي الفلسطيني والعربي يستهدفان معا كلا من الاحتلال البريطاني والوجود الصهيوني على أرض فلسطين.

إن هذه الخارطة من الصراعات الدولية المتنافسة على مراكز النفوذ في المنطقة لابد من أخذها في الحسبان في دراسة التطورات السياسية التي فرضت نفسها على الأرض منذ إعلان الانتداب البريطاني على فلسطين وإلى تاريخ النكبة عام 1948, وهو الحيز الزمني الذي تعالجه هذه الورقة. وضمن هذا السياق التاريخي, تهدف هذه الدراسة إلى فهم أشكال التعاطي العربي الرسمي والشعبي مع تلك الإكراهات بشقيها السياسي والعسكري, وفهم الخلفيات التي كان يصدر عنها كل منهما تجاه كل من الانتداب البريطاني والوجود الصهيوني المتنامي معا.

والفرضية التي تنطلق منها هذه الدراسة في معالجتها لهذه الإشكالية المزمنة التي لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا تتمحور حول التمييز بين موقفين متعارضين: الأول مثله القادة السياسيون العرب, وهو موقف لم يكن مؤهلا سياسيا ودينيا وفكريا لإدراك القضية الفلسطينية ضمن أبعادها المشار إليها, مما جعله يستجدي الحلول من القوى الإمبريالية ذاتها التي كانت ولا تزال تشكل رأس الحربة في أزمة القضية الفلسطينية, وأفضى في النهاية إلى نكبة فلسطين عام 1948. أما الموقف الثاني, فقد مثله قادة العمل الشعبي التطوعي الذي أظهر وعيا ثاقبا بطبيعة المشروع الصهيوني, ومن ثم بنى استراتيجيته في مواجهته على أساس المقاومة والعمل المسلح.

وعلى عكس ما كان مطلوبا آنذاك من تلاحم القوى الرسمية والشعبية وتوحدهما معا لمواجهة العدوان الصهيوني على الأراضي العربية المحتلة, ثمة تباين شديد بين الموقفين الشعبي والرسمي كان يصل في كثير من الحالات إلى حد التناقض في الأهداف وأساليب العمل النضالي معا. لقد ظهر الأداء الرسمي العربي بمظهر سلبي تجاه الأزمات المتفاقمة, وهذه السلبية اتخذت شكلين متوازيين: الأول عكسته حالة اللامبالاة وعدم الاكتراث بالحراك الشعبي الذي كان يتصدر المشهد النضالي العربي, ويملأ الفراغ الذي تركه غياب العمل النظامي؛ أما الثاني فكان يدفع بهذه السلبية إلى حدودها القصوى, وتجلى ذلك في إجهاض الحراك النضالي الشعبي ذاته, وهو ما نتج عنه تقوية العدوان الصهيوني سواء حدث ذلك بقصد أو بغير قصد.

إن الوثائق والمدونات التي عايشت تلك الأحداث, وكان أصحابها طرفا فاعلا فيها, فضلا عن الوثائق الرسمية التي كانت تصدر عن اجتماعات القمة العربية, هذه الوثائق تثب جميعها أن المواقف العربية كانت محبطة لطموحات شعوبها التحررية, وكابحة لثوراتهم وانتفاضاتهم المتوقدة. وللتغطية على فشلها في تمثيل مصالح شعوبها, وحرصا منها على الظهور بمظهر المدافع عنها, دأبت القيادات السياسية العربية في اللحظات الحرجة والمفصلية التي كانت تمر بها القضية الفلسطينية على إطلاق الشعارات والتصريحات الرنانة الموهمة بالدفاع عن عروبة فلسطين وقدسيتها, وهو ما كانت تنقضه كثير من ممارساتها السياسية والعسكرية معا على أرض الواقع.

التحدي الصهيوني بين المقاومة الشعبية والالتفاف الرسمي

ما يعنينا في هذا العنصر التمهيدي تحديدا هو بيان حجم تلك الهوة التي كانت تفصل بين الموقفين الشعبي والرسمي. على المستوى الشعبي, يشير سجل القضية إلى تاريخ حافل من التضحيات والبطولات وروح التضامن بين شعوب الأقطار العربية والإسلامية, يقابله حالة من الفتور والخذلان في الخط العام للأداء الرسمي العربي الذي لم تتجاوز مواقفه الالتفاف حول القضية تحت الضغط الشعبي إلى العمل الجاد والتخطيط الاستراتيجي المطلوب والمكافئ لخطورة المرحلة. لذلك, ليس غريبا أن تكون الانتفاضات الثورية ناتجة بالأساس عن مبادرات شعبية في ظل صمت الأنظمة الرسمية التي كان يفترض أن تتولى الأخذ بزمام المبادرة في قيادة شعوبها, وتعمل على تعبئة طاقاتها في سبيل الكفاح المسلح لإفشال المشروع الاستيطاني اليهودي المدعوم رسميا بسلطات الانتداب البريطاني. أما التعاطف والدعم اللذان ظهر على المواقف الرسمية تجاه الغليان الشعبي, فقد كان في غالبه مسايرة لتلك الضغوط رفعا للحرج أكثر منه تعبيرا عن استراتيجية عربية مدروسة لخدمة المصالح القومية العربية, ولذلك سرعان ما كان يصاب هذا الحماس الشكلي بالفتور حالما يتم إسكات صوت الاحتجاجات.

1. الحراك الشعبي وإرباك التحالف البريطاني اليهودي

كان من ميزات العمل الفلسطيني الشعبي قدرته على العمل التعبوي المنظم من خلال مسارات نضالية متوازية زاوجت بين العمل السياسي السلمي والعمل الثوري المسلح. والمساران معا مثلا مصدر قلق وضغط كبيرين على سلطة الاحتلال

[3] Nur Masalha (2012), *The Palestine Nakba, Decolonizing History, Narrating the Subaltern, Reclaiming Memory*, London & New York: Zed Books, p. 32.

البريطاني وحركته الاستيطانية. كان الحراك السياسي يعبر عن حالة عامة اشتركت فيها القوى الشعبية عربيا وإسلاميا, وإن ظل مركزها مشدودا إلى الداخل الفلسطيني الذي شكل النواة الصلبة لهذا الحراك, وأهَّلَه للقيام بدور القاطرة التي كانت تحرك مشاعر التضامن في الأطراف القريبة والنائية على السواء. وقد برز النضال السياسي الشعبي إلى الوجود في الداخل الفلسطيني في وقت مبكر جدا, وقادته شخصيات بارزة إلى جانب بعض التشكيلات النظامية المبكرة كالجمعيات الإسلامية المسيحية التي ظهرت مبكرا سنة 1918 في القدس وحيفا.[4] وكانت هذه القوى المناضلة تمارس نشاطها من خلال رفع التقارير والبرقيات والمذكرات الاحتجاجية إلى سلطات الاحتلال وغيرها من المنابر المؤثر في الداخل والخارج, إضافة إلى عقد سلسلة من المؤتمرات الشعبية كان أولها سنة 1919 في مدينة القدس, وهو المؤتمر الذي صدر عنه أول ميثاق قومي فلسطيني للوقوف في وجه وعد بلفور والهجرة اليهودية, والمطالبة بوحدة فلسطين مع سورية والاستقلال التام. وقد شكلت مخرجات هذا المؤتمر نواة لسلسلة من المؤتمرات اللاحقة التي تم تكريسها لمواجهة سياسات الاحتلال في الداخل, وترشيد أسس المفاوضات والدفاع عن الحقوق العربية في الخارج. وهذه الجهود السلمية توجت بانعقاد المؤتمر الإسلامي العام في مدينة القدس سنة 1931, والذي يعتبر الأول من نوعه في تاريخ القضية الفلسطينية بالنظر إلى حجم الحضور ونوعيته, حيث حضره صفوة من رجالات العرب والمسلمين, وكبار علمائهم ومفكريهم من مختلف القارات. والواقع أن هذا المؤتمر لم يشهد له التاريخ اللاحق مثيلا, ليس فقط من حيث الدعاية لقضية فلسطين وإشراك كافة الشعوب العربية والإسلامية في التلاحم حول قضيتهم الأم, ولكن أيضا من حيث قوة الضغط والتأثير على الدعاية الصهيونية والاحتلال البريطاني معا. ومع أهمية هذا الحراك السلمي ودوره المتميز في تاريخ النضال الشعبي ضد الاحتلال الصهيوني داخل فلسطين وخارجها, يضيق بنا المجال ضمن هذا الحيز المحدود من الدراسة عن تسجيل بعض من منجزاته التي نكتفي بالإحالة إلى بعض الأعمال المرجعية التي أرخت له ووثقت لفعالياته.[5]

أما على مستوى النضال المسلح, فقد تألقت قيادات فلسطينية إلى جانب القيادات العربية التي قادت مسيرة العمل الثوري, وكلاهما انبثق من رحم الإرادة الشعبية, وكان تعبيرا عن صدق وإيمان الشعوب العربية بعدالة قضيتها, وما يقتضيه من واجب الدفاع عن مقدساتها. في الداخل الفلسطيني اعتمد الشباب الفلسطيني على إمكاناتهم الذاتية في التدريب والتمويل الذاتي في العتاد, وتطورت أساليبهم النضالية بالرغم من عفويتها, وتكتلوا في جماعات أخذت على عاتقها مناوأة سلطات الاحتلال, والدفاع عن مدنهم وقراهم ضد الاستيطان اليهودي. وتعود البدايات الأولى للعمل المسلح إلى وقت مبكر حيث شهدت القدس أول اصطدام دموي سنة 1920 ضد الاستيطان اليهودي وسلطة الاحتلال البريطاني. وفي نفس السنة اندلعت ثورة يافا, وكانت أشد وأبعد أثرا ضد التحالف البريطاني الصهيوني.[6] وفي صيف عام 1929 انطلقت ثورة البراق, وكانت رد فعل على التكتل اليهودي المنظم وتدفق آلاف منهم إلى القدس لتثبيت حقهم المزعوم في محل البراق وحائط المبكى, وهو ما استدعى ردودا قوية من الجانب الفلسطيني, تجاوز المظاهرات إلى استهداف اليهود بالقوة في منطقة القدس, وامتد الاشتباك ضدهمإلى مناطق ومدن فلسطينية أخرى,[7] كما كانت لها تأثيرات قوية في البلدان العربية التي شهدت مظاهرات احتجاجية تضامنية, خاصة في سوريا والعراق والأردن.

ومع مطلع الثلاثينات اندلعت أعنف الثورات الشعبية, وكانت استجابة طبيعية لتصاعد وتيرة الهجرة اليهودية إلى فلسطين إلى جانب نكث سلطة الاحتلال البريطاني بوعودها لأهل الأرض بالحد من الهجرة اليهودية. فمنذ عام 1919 حيث كان الوجود اليهودي يمثل نسبة 10%, ارتفعت هذه النسبة إلى قرابة 30% مع حلول سنة 1940, حيث سيبلغ المهاجرون اليهود الذين تدفقوا على فلسطين قرابة 300 ألف يهودي.[8]

وفي سياق هذا الاحتقان السياسي ظهرت هيئات شعبية مسلحة أخذت على عاتقها قيادة المقاومة المسلحة ضد الاحتلالين البريطاني والصهيوني معا. ففي أكتوبر 1929 ظهرت منظمة إسلامية عرفت بـ"اليد الخضراء" في منطقة صفد, ووجهت عملياتها ضد المستوطنات اليهودية والأهداف البريطانية. وفي عام 1931 تشكلت منظمة "الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني, وكانت تضم من بين عناصرها أعضاء مسيحيين, وقامت بدور ريادي في أحداث الثورة الكبرى 1936-1939, وامتد نشاطها العسكري إلى ما بعد حرب 48. وفي عام 1935 تشكل في طولكرم وقلقيلية تنظيم "الشباب الثائر".[9] وضمن هذه الأجواء الملهمة لروح المقاومة المسلحة, برز اسم عز الدين القسام الشخصية الأكثر إلهاما للشباب الفلسطيني الثائر, وكان نشاطه يجمع بين المقاومة المسلحة التي بدأها في وقت مبكر ضد الاحتلال الفرنسي لسوريا مطلع العشرينات قبل أن يلتحق بفلسطين حيث شكل "العصبة القسامية",[10] وبين العمل الثقافي التوعوي ضد الفكر الغربي الإمبريالي الداعم للوجود اليهودي على أرض فلسطين.

---

[4] Gudrun Kramer (2011), *A History of Palestine, from the Ottoman Conquest to the Founding of Israel*, New Jersy: Princeton University Press, p. 202.

[5] لمزيد من التفاصيل حول هذا الحراك السياسي السلمي، ينظر: عبد الوهاب الكيالي، (1968)، *وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية، (1918-1939)*، سلسلة الوثائق العامة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، وجمعية صندوق فلسطين، بغداد، ط1، ص1 وما بعدها. محمد عزة دروزة، (1959)، *القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها*، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط2، ج1، ص35، 37، 43، 79، 86.

[6] القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، مرجع سابق، ص 37.

[7] Charles D. Smith (2013), *Palestine and the Arab-Israeli Conflict, A history with Documents*, Bedford:St. Martin's, pp. 124-126.

8 *Ibid*., p. 146.

[9] Kramer, *A History of Palestine*, p. 259. See also Smith, *Palestine and the Arab-Israeli Conflict*, p. 134.

[10] Kramer, *A History of Palestine*, pp. 259-263.

وكان من نتيجة هذا الحراك المتصاعد ضد الاحتلال تصاعد الدعوة إلى المقاطعة وإنهاء التعاون مع سلطة الانتداب, وانسحاب موظفي العرب من الحكومة, والامتناع عن دفع الضرائب, وغيرها من الأشكال الاحتجاجية التي شهدتها سنة 1933 وما بعدها.[11] وتوجت هذه الحملات المنظمة بالدعوة إلى مظاهرة عامة عرفت بمظاهرة القدس الكبرى, وانطلقت من المسجد الأقصى يوم 13 شتنبر 1933 بعد صلاة الجمعة. وقد أُعتبرت هذه المظاهرة -كما قال محمد عزة دروزة- وهو أحد أبرز قادة النضال الفلسطيني يومها, أولى خطوة جدية في الصخب على الحكومة البريطانية وسياساتها, والتحدي لها والتمرد على قوانينها, كما أنها أشعلت لهيب الحماس الشعبي لمواصلة التظاهر ضد الاحتلال. وضمن هذا السياق الحماسي انطلقت مظاهرة يافا التي شهدها وفودا من سوريا والأردن, وكانت نتائجها دامية وحصيلة الشهداء ثقيلة, ولكن ذلك لم يثن من التخطيط لمظاهرة عامة تعم جميع المدن في يوم واحد, وتم تنفيذها في موعدها في يوم عيد الفطر من نفس السنة.[12] وعلى مدى السنوات القليلة التالية, كانت الأفكار الداعية إلى المقاطعة وإنهاء التعاون مع الاحتلال والإضراب العام تزداد رسوخا مع تكرار حوادث الصدام الدامية بين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود.

وضمن هذا الخط التصاعدي جاءت ثورة 1936 التي تعتبر ذروة التصعيد النضالي الفلسطيني المسلح ضد الاحتلال البريطاني والوجود اليهودي. وقد ساعد على ذلك وعي الفلسطينيين والعرب بحالة العجز البريطاني والفرنسي وفشلهما العسكري أمام ألمانيا وإيطاليا, وتصاعد المطالب العربية بالاستقلال في كل من سوريا ومصر.[13] وفي هذه الأجواء الدولية المشجعة, شهدت نابلس اجتماعا تاريخيا حيث تشكلت لجنة قومية لتنظيم الثورة, ووُجِّهَت رسائل إلى بقية المدن الفلسطينية لتشكيل لجان قومية مماثلة, وتُوجَ هذا الجهد التنظيمي بتشكيل "اللجنة العربية العليا" في أبريل 1936 لقيادة العمل النضالي, وسرعان ما ظهر أثرها في سلسلة الأنشطة النضالية النوعية التي أخذت شكل إضرابات متواصلة, تطورت إلى إعلان الثورة والتمرد ضد المحتل والمستوطنين معا. وبعد شهر ونصف من بدء الثورة, تعززت مكاسب الثوار بوصول أعداد من المقاتلين الذين قدموا من شرق الأردن وسورية ولبنان والعراق للانضمام إلى الثورة, وقاد فوزي القوقجي فريقا من المقاتلين المتطوعين ليلتحق بالثورة المسلحة في غشت 1936. كما تنادت أقطار الجوار العربي بدعم القضية الفلسطينية, فتأسست لجان الدفاع عن فلسطين, وساهمت ماديا بجمع التبرعات, إلى جانب الدعم السياسي من خلال تسيير المظاهرات, وامتد تأثير الثورة إلى الهند حيث عُقد مؤتمر للدفاع عن فلسطين ومقاطعة البضائع الإنجليزية, والامتناع عن التجنيد في الجيش البريطاني.[14]

هكذا توافرت العوامل الداخلية والخارجية معا على إحداث نقلة نوعية في أساليب العمل النضالي, على الصعيدين العسكري والتنظيمي, وهو ما مكن قيادة الحراك الفلسطيني, وبنجاح كبير, من إرباك التحالف البريطاني الصهيوني عبر سلسلة من الإضرابات والثورات المتتالية التي ألحقت أضرارا بالغة بالكيانين معا. وتعترف المصادر اليهودية بنجاعة حركة الإضراب التي أصابت الحركة التجارية وحركة النقل بالشلل, إلى جانب مهاجمة المنشآت البريطانية, ومكاتبها الحكومية, وأفراد الشرطة, والثكنات العسكرية, وتدمير السكك الحديدية الرابطة بين فلسطين ومصر. وإلى جانب انتفاضة المدن, نظم الفلاحون العرب هجمات متتالية ضد المستوطنات الريفية اليهودية, كما تم استهداف المستعمرات اليهودية المعزولة وحرق محاصيلها الزراعية, وقتل المستوطنين اليهود, إلى جانب استهداف أنابيب النفط الممتدة من الموصل إلى حيفا, وتدمير الجسور والطرق والسكك الحديدية.[15] ولم تفلح الإجراءات القمعية المشددة التي اتخذتها سلطات الاحتلال لقمع الثورة التي تجددت حدتها من 1937 إلى مطلع عام 1939 لمواجهة العصابات اليهودية التي كانت قد تشكلت تحت الإدارة البريطانية, وتعمل بالتعاون مع قوات الاحتلال.[16]

2. التدخل الرسمي العربي وإجهاض مكاسب الثورة

إزاء هذا الزخم الشعبي المتصاعد, لاحظ المؤرخ الألماني غودرون كرايمر حجم التباين بين ردود الفعل الرسمية والشعبية في العالم العربي. ففي الوقت الذي كانت فيه الحكومات العربية مهتمة بالأساس بالحفاظ على علاقتها ببريطانيا العظمى وفرنسا على حساب القضية الفلسطينية التي كانت تأتي في الدرجة الثانية, كانت ردود الفعل جد مختلفة لدى الجمهور العربي الذي كان أكثر التزاما بقضية فلسطين,[17] وهو ما أحدث فارقا نوعيا في مسار الثورة واشتداد التمرد العربي ضد الاحتلال, وفقا لتقييم بعض المؤرخين اليهود أنفسهم.[18]

ولاحتواء حالة التمرد المتصاعد, لجأت بريطانيا خلال شهر يونيو 1936إلى الاستعانة بالحكام العرب. كان الموقف الرسمي العربي محبطا حيث اختار الانحياز إلى جانب الاحتلال البريطاني بقبوله طلب بريطانيا القيام بدور الوساطة لدى الثوار لإيقاف الثورة مقابل وعد بإرسال لجنة ملكية للتحقيق والنظر في مطالب الثورة, وهنا يبدأ مسلسل التدخل العربي الرسمي

[11] Cohen, *Britain's Moment in Palestine*, pp. 248-249.

[12] ينظر تلك التظاهرات وأشكال المقاطعة في: وثائق المقاومة الفلسطينية العربية، مرجع سابق، ص332-342، وما بعدها. وكذلك: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ص 112-114.

[13] Cohen, *Britain's Moment in Palestine*, p. 247.

[14] Kramer, *A History of Palestine*, p. 277.

وينظر أيضا سمير أيوب (1984)، *وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني*، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، ج3، ص9، 19. وكذلك: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، مرجع سابق، ج1، ص121-137.

[15] Cohen, *Britain's Moment in Palestine*, pp. 250-251.

[16] Smith, *Palestine and the Arab-Israeli Conflict*, pp. 138-139.

[17] Kramer, *A History of Palestine*, p. 277.

[18] Cohen, *Britain's Moment in Palestine*, p.251.

لإجهاض الثورة من الداخل. وقد كان من مظاهر هذا الخذلان إعلان مصر, أكبر الدول العربية آنذاك, وعلى لسان حكومة حزب الوفد, موقفها السلبي من الثورة, حرصا على عدم إزعاج حليفتها بريطانيا, بالرغم من الانتقادات الشعبية المتوالية ضدها.[19] ومن الجانب السعودي, يذكر الكاتب اليهودي مايكل كوهين بأن مكتب الخارجية البريطانية أخبر الملك عبد العزيز بأن بريطانيا لن ترضخ تحت تهديد الثوار, وأن الملك يستطيع خدمة المصالح الفلسطينية بشكل أفضل بإقناعهم بوقف تمردهم. أما الملك عبد الله في الأردن, والذي كان يعتبر كما وصفه كوهن بالحرف "دمية بريطانية", فقد تصرف بوصفه كمتحدث غير رسمي باسم بريطانيا, ونصح الفلسطينيين بأن يوقفوا أعمالهم "الإرهابية" من أجل السماح للجنة التحقيق الملكية بالذهاب إلى فلسطين.[20] وعندما فشلت وساطة الملك عبد الله في وقف الثورة, أثمرت الاستشارات التي أجراها مكتب الخارجية البريطانية مع أحد الوزراء السعوديين في لندن, حيث اقترح القيام بتعبئة ملوك كل من السعودية والعراق واليمن للقيام بجهد مشترك من أجل التوسط لدى الفلسطينيين وإقناعهم بوقف الثورة, وكانت هذه المبادرة نقطة تحول نحو قبول الفلسطينيين المبدئي بالمفاوضات بتاريخ 3 يوليو من عام 1936.[21]

وبتاريخ 21 غشت من نفس السنة, أخذ المبادرة نوري السعيد وزير خارجية العراق الذي حل ضيفا على المندوب السامي البريطاني في فلسطين, واجتمع باللجنة العربية العليا مقابل وعود وتطمينات شخصية من المندوب السامي البريطاني بتحقيق مطالب العرب ووقف الهجرة اليهودية, والتوقف عن مطاردات الثوار وفرض الغرامات, وإطلاق المعتقلين. وكعادة الحكام العرب في مخاطبة شعوبهم بزخرف الكلام, وجه نوري السعيد كتابا إلى اللجنة العربية العليا ألمح فيه إلى أن وساطته إنما كانت بالتضامن مع صنعاء والرياض وعمان, وكان مما جاء في الكتاب: "إن الحكومة العراقية التي تشعر شعورا قويا بالرابطة القومية التي تربط الشعب العراقي والشعب العربي في فلسطين, ترى أنه لمن المحتم عليها أن تتقدم بالوساطة الناجعة بين الشعب والحكومة البريطانية التي تربطها بها روابط صداقة وحلف قوية في سبيل إنهاء الحالة الراهنة في فلسطين".[22] وبناء على هذه الوساطة قبلت اللجنة العربية العليا وساطة الملوك العرب وأمراءهم وحكوماتهم باعتبارها تضفي على قضيتهم بعدا عربيا, وأذاعت بيانا رسميا في الموضوع ثمنت فيه وساطة نوري السعيد مع استمرارها في التمرد إلى أن تصل المفاوضات إلى تلبية مطالب الثورة.[23] لكن الاحتلال البريطاني سرعان ما تنكر للوساطة العربية حيث أرسل وزير المستعمرات البريطانية جوابا على الاحتجاج الذي قدمه القيادي الصهيوني وايزمان على الوساطة العربية وموافقة بريطانيا على الشروط العربية ينفي فيه طلب الوساطة العربية وتفويض نوري السعيد من أساسه. وبالمقابل, عزز الاحتلال قواته العسكرية لقمع الثورة بالقوة دون جدوى أمام تصاعد الهبَّة الشعبية, فعادت بريطانيا إلى ركوب الخداع حيث وصلت برقية من الملك عبد العزيز في السعودية تفيد بأن الحكومة البريطانية وافقت على أن يوجه ملوك العرب وأمراؤهم نداء بوقف الإضراب. وقد حفظت الوثائق المدونة نداء الملوك والرؤساء العرب الذي وقعه كل من الملك عبد العزيز, وملك العراق غازي الأول, وملك الأردن عبد الله بتاريخ 10 أكتوبر 1936, وكان مما جاء فيه: "ندعوكم للإخلاد إلى السكينة حقنا للدماء, معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل",[24] وصدر على إثر هذا النداء بيان من اللجنة العربية العليا بوقف الإضراب.[25]

وبالنظر إلى التداعيات التي أعقبت وقف الثورة, يمكن القول بأن وساطة الملوك العرب أجهضت كل المكاسب التي حققتها الثورة على أرض الواقع, وخاصة ما يتعلق بانعكاساتها السلبية على الهجرة اليهودية, وما تكبده اليهود من خسائر نتيجة الإضراب, وشروعهم في النزوح عن فلسطين, حيث قدر عدد اليهود الذين غادروا البلد في الأشهر الأولى من الثورة بستة آلاف نازح.[26] وفي الوقت الذي تم فيه إخلاء أرض فلسطين من المجاهدين العرب وانسحابهم إلى أوطانهم الأصلية في العراق وسوريا ولبنان والأردن تحت ضغط الملاحقة العسكرية البريطانية,[27] واصلت بريطانيا سياستها العدوانية حيث أعلن وزير المستعمرات البريطانية استمرارية الهجرة اليهودية إلى فلسطين, وأدلى بتصريح بالغ فيه بالاستهتار بملوك العرب حيث قال: "إن السلطة المنتدبة لم تكلف ملوك العرب ولا سواهم بالتدخل في المسألة, غير أن بعضهم دعوا من تلقاء أنفسهم أبناء دينهم إلى السكون ولم تعارض الحكومة البريطانية".[28]

وعندما أصدرت اللجنة العربية العليا قرارها بمقاطعة اللجنة الملكية التي أرسلتها بريطانيا للتحقيق في أحداث الثورة ومطالبها بتاريخ 6 نوفمبر 1936, وتم تنفيذ القرار فعلا, عادت سلطة الاحتلال إلى طلب وساطة الملوك العرب للضغط على اللجنة, وبدأ الضغط يتوالى عليها من عمان والرياض وبغداد. وقد تطوع الملك عبد الله, ملك الأردن, بالحضور إلى القدس ليستقبل اللجنة الملكية ويرحب بها, ويطلب تفويضا من اللجنة العربية ليتكلم باسم فلسطين. وبالمثل, توالت برقيات التهديد والوعيد على اللجنة العربية من الرياض, كما انضمت بغداد إلى قائمة المنذرين, وانتهت التهديدات بقبول اللجنة العربية العدول عن

---

[19] القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، مرجع سابق، ج1، ص136.

[20] Cohen, *Britain's Moment in Palestine*, p. 256.

[21] *Ibid.*, p. 257.

[22] القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، مرجع سابق، ج1، ص139. وكذلك: وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، مرجع سابق، ص53.

[23] ينظر نص وثيقة البيان الصادر عن القيادة العامة للثورة إلى المجاهدين لوقف الثورة تلبية لنداء الملوك العرب في: وثائق المقاومة الفلسطينية العربية، مرجع سابق، ص457-458. وكذلك: وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، ص55.

[24] صدر نداء الملوك العرب بتاريخ 1936/10/8. انظر: وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، ج3، ص53.

[25] ينظر نص وثيقة البيان الصادر من القيادة العامة للثورة إلى المجاهدين لوقف الثورة تلبية لنداء الملوك العرب في: وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، مرجع سابق، ص55. وكذلك النداء الصادر عن القيادة العامة للثورة العربية في سورية الجنوبية في: وثائق المقاومة الفلسطينية، مرجع سابق، ص457-458. وينظر أيضا: Cohen, *Britain's Moment in Palestine*, p. 260.

[26] القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، مرجع سابق، ج1، ص 146.

[27] Smith, *Palestine and the Arab-Israeli Conflict*, pp.155-173.

[28] القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، مرجع سابق، ج1، ص150.

قرار مقاطعة اللجنة الملكية وقبول التفاوض معها على غرار المفاوضات العربية الرسمية التي كانت دائما خاوية الوفاض. أما الحجة التي برر بها الملك عبد العزيز هذا المسار التفاوضي الذي أجهض النضال الفلسطيني, فهي اعتقاده بوجوب مسايرة الإنجليز, وعدم إحراجهم وإغضابهم![29]

قرار التقسيم بين المقاومة الشعبية والتبني الرسمي

يشكل قرار التقسيم إطارا مهما لتقييم الموقف الرسمي العربي خلال هذه المرحلة الحرجة المتقدمة من القضية الفلسطينية, إذ يعتبر المسؤول المباشر على توفير الإطار القانوني للوجود الصهيوني. وكما سيحدث في المراحل المتقدمة بعد ذلك, تعامل الموقف الرسمي العربي مع هذا الحدث الخطير بأقصى درجة من اللامبالاة, بالرغم من أوراق القوة التي كان يمتلكها للضغط على الفاعلين الدوليين المؤثرين في القرار, وهو ما ترتب عنه تسهيل عملية التقسيم التي مرت دون مقاومة عربية تذكر, اللهم تلك الخطب الفارغة التي كانت موجهة للاستهلاك الداخلي.

1. الخلفية التاريخية لقرار التقسيم

يعتبر قرار التقسيم محصلة سلسلة من المناورات البريطانية التي كانت تعمل على تهيئة الشروط المحلية والدولية لميلاد الكيان الصهيوني على أرض فلسطين, والذي فرض عليهم سياسة الأمر الواقع بتقسيم وطنهم كحل لصراعهم ضد اليهود المستوطنين تحت شعار "نصف الرغيف أفضل من لاشيء".[30] جاء قرار التقسيم نتيجة التوصيات التي خرجت بها اللجنة الملكية, والذي صدر في يوليوز 1937 حيث نص على إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين, وتقسيمها إلى دولتين واحدة للفلسطينيين, وأخرى لليهود.[31] ويعتبر هذا القرار بالفعل أخطر قرار في تاريخ القضية الفلسطينية باعتباره وضع حجر الأساس لقيام الكيان الصهيوني وفقا لتصريح الصهيوني أبا إيبان الذي قال فيه: "إن قرار التقسيم هو المبدأ الذي مكن لولادة إسرائيل".[32]

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية وصعود الرئيس الأمريكي ترومان إلى الحكم, عرفت القضية الفلسطينية تطورات خطيرة لصالح اليهود محليا ودوليا. على المستوى الدولي, تبنت الولايات المتحدة الأمريكية مواقف معادية للقضية الفلسطينية, ومدافعة عن حق اليهود في الهجرة وتأمين وجودهم على أرض فلسطين, وتحديدا مع الرئيس الأمريكي هاري ترومان بحكم انتمائه إلى تيار المسيحية المتصهينة. وعلى المستوى المحلي, استغل اليهود الدعم الأمريكي للضغط على حكومة الانتداب البريطاني, حيث قامت المنظمات الصهيونية شبه العسكرية بسلسلة من الأعمال التخريبية استهدفت ضرب كافة المنشآت المدنية والعسكرية, وتدمير البنية التحتية, والمكاتب الإدارية للاحتلال, واستهداف قواته الأمنية, وكانت الحصيلة مدمرة وفقا للتقرير الرسمي الذي أعده مكتب شؤون المستعمرات البريطانية عن سنتي 1945 و1946.[33] وقد تجاوبت بريطانيا مع الموقف الأمريكي, وأصدرت قرارا بنقض الكتاب الأبيض الذي أقرته عام 1939, والذي كان ينص على الحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين, وعدم سماحها بتحويل أرض فلسطين إلى دولة يهودية.[34] وقد أسفر التفاهم الأمريكي البريطاني عن تشكيل لجنة تحقيق مشتركة بدأت بمباشرة عملها ابتداء من يناير 1946, وأصدرت تقريرها الصادم للعرب أواخر أبريل 1946 أعلنت فيه نقض وعود الكتاب الأبيض للعرب, وأوصت بتهجير مائة ألف يهودي جديد إلى فلسطين, كما طالبت العرب بأن يتفهموا الأوضاع الإنسانية والاجتماعية التي يعانيها اليهود.[35]

وبتاريخ 25 فبراير 1947, أعلن وزير الخارجية البريطانية قرار الحكومة بإحالة ملف القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة, فتشكلت لجنة تحقيق أممية لهذا الغرض, وأصدرت تقريرها بتاريخ 1 شتنبر 1947 أعلنت فيه إنهاء الانتداب البريطاني واستقلال فلسطين, مع توصية أغلبية أعضائها بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية, وهي التوصية التي اعتمدتها الأمم المتحدة بتاريخ 29 نوفمبر 1947.[36]

2. ردود الفعل الرسمية: دبلوماسية الاحتجاج

كانت هذه التطورات النوعية والخطيرة التي اشتد فيها الخناق على القضية الفلسطينية تستدعي تدخل الجيوش العربية النظامية لتفادي الكارثة المحدقة بقضيتهم الأم. لكن الموقف الرسمي العربي لم يكن مستعدا لاتخاذ قرار بهذا الحجم. لقد كانت ردود الفعل الرسمية على قرار التقسيم وما تبعه من قرارات وتحركات دولية خارجة عن منطق التاريخ ومتطلبات المرحلة. والحقيقة المرة التي تنطق بها الوثائق التاريخية الشاهدة على الأحداث التي أعقبت نهاية الحرب العالمية الثانية إلى صدور قرار إنهاء الانتداب عام 1947 أن الموقف الرسمي العربي كان يستبطن الرضا بالتقسيم, ويلتزم به فعليا, وظل في كل

[29] القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، مرجع سابق، ج1، ص154.

[30] Smith, *Palestine and the Arab-Israeli Conflict*, pp.155-158.

[31] Royal Commission (1937), *Palestine Royal Commission Report, presented by the Secretary of the State for the Colonies to Parliament by Command of his Majesty*, July 1937, London, published by his majesty's Stationary Office, p.381 .

[32] James Lunt (1989), *Hussein of Jordon, a political biography*, London: Macmillan, p. xxxiii.

[33] The Secretary of State for the Colonies(1946), *Palestine Statement of Information relating to Acts of Violence*, Presented to Parliament by the Secretary of State for the Colonies by Command of His Majesty July, London.

[34] Kramer, *A History of Palestine*, p. 293.

[35] Anglo-American Committee of Inquiry(1946), *Report to the United States Government and His Majesty's Government in the United Kingdom, Lausanne, Switzerland April 20, 1946*., Washington: United States Government Printing Office. .

[36] Kramer, *A History of Palestine*, p. 306.

اجتماعات مجلس الجامعة العربية المتعاقبة يردد عبارات الشجب والاستنكار, دون أن يتمكن من اتخاذ أي خطوة عملية في صد العدوان الدولي واليهودي على أرض فلسطين, وهو ما يمكن التدليل عليه من خلال الوقائع والشواهد التالية:

أ. مع تزايد الدعم الأمريكي لليهود بداية حكم ترومان, وظهور التوافق الأمريكي البريطاني على تشجيع الهجرة اليهودية, استشعر الزعماء العرب الخطر الذي بات يهدد القضية الفلسطينية, فعَقدَ مجلس الجامعة العربية دورته الثانية التي بدأت أعمالها منذ 31 أكتوبر 1945, وهيمنت القضية الفلسطينية على معظم جلساته. وكان من مخرجات هذه الدورة أن أصدرت الجامعة العربية مذكرات احتجاجية موجهة إلى الحكومتين الأمريكية والبريطانية تذكِّر فيها بالوعود التي قطعتها لهم بريطانيا في الكتاب الأبيض الصادر عام 1939 بوقف الهجرة اليهودية, وتؤكد فيها تمسك الدول العربية بالسلام ورغبتها في بناء أحسن علاقات المودة مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى, ورجائهما بعدم اتخاذ أي قرار عن القضية الفلسطينية من شأنه أن يسيء إلى هذه المودة القائمة! أما القرارات التي اتخذت في هذا الاجتماع, فهي على أهميتها لم يكن لها أي أثر فعلي على أرض الواقع, وكانت تتمحور حول مقاطعة المنتجات اليهودية, وتأليف لجنة عربية عليا خاصة بالشأن الفلسطيني, وإنقاذ أراضي فلسطين, وإنشاء مكاتب للدعاية, وكلها بقيت عديمة الجدوى نتيجة الخلافات المستعرة بين الزعماء العرب.[37]

ب. مع إعلان قرار اللجنة الأمريكية البريطانية المشتركة وإلغاء الكتاب الأبيض لعام 1939, عمت المظاهرات بلاد فلسطين, وأرسلت لجنتها العليا برقيات الاستغاثة والاستنجاد, وتفجر الغضب العربي في كافة أرجاء الوطن العربي, فاندلعت المظاهرات في الأردن والعراق ومصر والسعودية وسوريا ولبنان, وتواصل التأييد الشعبي من أقصى المغرب العربي إلى مسلمي الهند. وإزاء هذا الواقع الأليم, جاء رد فعل الموقف الرسمي العربي رخوا وغير آبه بحالة الاحتقان العربي, واكتفى بإصدار البيانات التي لم تتجاوز حدود التنديد والاحتجاج المشفوع بإظهار الخنوع وخَطبِ ود الاحتلال البريطاني. لقد اكتفى القادة العرب بالتعبير عن غضبهم برفع احتجاجهم لدى السفيرين الأمريكي والبريطاني. وفي نفس الوقت, وجه ملك الأردن خطابا قال فيه: "إننا نعاهد الله على الجهاد المقدس دفاعا عن فلسطين العربية", كما أعرب الملك عبد العزيز عن خيبة ظنه في بريطانيا وأمريكا اللتين لم تقدرا حقوق العرب وصداقتهم لهما! أما الأمين العام للجامعة العربية, عبد الرحمن عزام, فقد وجه وعيدا شديدا قال فيه: "إننا اليوم نرسل الاحتجاج, وغدا سنرسل الرصاص ضد من ينفذ هذا التقرير".[38]

ت. ولتجاوز الردود الفردية, تم دعوة الجامعة العربية للانعقاد في 28 ماي 1946 في مصر, وهي القمة التي انتهت بإصدار البيان "التاريخي" التالي: "تشاور أصحاب الجلالة والفخامة والسمو, رؤساء دول الجامعة العربية..., وبعد المداولة في المسائل العامة والخاصة بالشؤون العربية, وجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق على أن البلاد العربية المشتركة في جامعة دولهم ترغب رغبة أكيدة في السلم الدائم بينها وبين جميع دول العالم, وأن عليها بذل كل ما تستطيع في سبيل تأييد السلم..., ثم تداولوا في قضية فلسطين من شتى نواحيها فرأوا أن قضيتها ليست قضية خاصة بعرب فلسطين وحدهم بل هي قضية العرب جميعا..., وأنه ليس في إمكان هذه الدول أن توافق بوجه من الوجوه على أي هجرة جديدة, ويعتبرون ذلك نقضا صريحا للكتاب الأبيض الذي ارتبط به الشرف البريطاني, ولهم عظيم الأمل في ألا يعكر صفو علائق المودة القائمة بين الدول والشعوب العربية من جهة, والدولتين الديموقراطيتين الصديقتين من جهة أخرى...".[39]

ث.. وفي سياق هذا الجدل الدولي وتداعيات اللجنة الأمريكية البريطانية دائما, قرر الزعماء العرب عقد اجتماع آخر للجامعة العربية في بلودان بسوريا بتاريخ 8-12 يونيو 1946, للنظر فيما يلزم اتخاذه من تدابير تحفظ عروبة فلسطين, وانتهى إلى اتخاذ قرارات علنية وسرية. أما العلنية, فقد نصت على المطالبة بتجريد اليهود من السلاح, وإنشاء مكاتب لمقاطعة التجارة مع اليهود, ومنع التصدير إليهم في كل الدول العربية, ورفض أي شكل من أشكال التقسيم, وإنشاء لجان للدفاع عن فلسطين. أما القرارات السرية التي بقيت طي الكتمان "لخطورتها", فقد لمحوا فيها إلى احتمال تطور الحالة في فلسطين إلى الصدام, وأكدوا "أن موقف الحكومات العربية حينئذ سيتحرج جدا لأنها لا تستطيع أن تمنع شعوبها من مناصرة أهل فلسطين بالمال والسلاح والرجال", كما هددوا بحرمان الدولتين الكبيرتين من أية امتيازات اقتصادية, وخاصة تصدير النفط, ومقاطعتهما مقاطعة أدبية, وشكواهما إلى الأمم المتحدة![40] هذا نظريا. أما عمليا, فعندما أذاعت بعض الصحب العربية خبر اعتزام الملك عبد العزيز إلغاء السعودية للامتيازات النفطية الأمريكية, سارع إلى إنكاره الشديد لهذا العمل, مؤكدا أن "الدين الإسلامي يأمر بالوفاء بالعهود والعقود, وحماية من هم في ذمة سلطان المسلمين"! بل إن الذي حدث على أرض الواقع كان العكس تماما, حيث ازدادت الدول العربية تقربا واستسلاما للدول المتآمرة على حد وصف محمد عزة دروزة, وزادت عقودهما النفطية وغير النفطية معها.[41]

ج. وكما هو معتاد في تعامل بريطانيا مع الاحتجاجات العربية وقراراتها الجوفاء, أظهرت بريطانيا موقفا مُهينا ومُؤذيا وساخرا عندما أبلغ وزير خارجيتها العرب بتاريخ 13 نوفمبر 1946 بأن العالم لا ينتظر من العرب غير ما هو معروف عنهم من كرم ومروءة, ومن ثم دعوتهم إلى قبول قرار اللجنة الأمريكية البريطانية التي تشكلت للتحقيق في المطالب العربية الإسرائيلية, باستمرار الهجرة اليهودية. ومع أن الرد كان جارحا للكرامة العربية, لم تأن بريطانيا جهدا في مراودة الحكومات

---

[37] ينظر التفاصيل في: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، مرجع سابق، ج2، ص36-41.
[38] القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، مرجع سابق، ج2، ص51.
[39] نفسه، ج2، ص52.
[40] القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، مرجع سابق، ج2، ص55-60.
[41] القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، مرجع سابق، ، ج2، 81.

العربية وحملها على الإذعان, ونجحت في ذلك حيث أبدت بعض الحكومات العربية تفهمها للموقف, واعتبرت أن المسألة تافهة ولا يحسن أن يَظهر فيها العربُ بمظهر التعصب الجامد الذي يُعرّضهم لفقدان عطف أمريكا وبريطانيا, وهو الموقف الذي رأى فيه بعض أحرار العرب ومناضليهم تواطؤا, بل ونعت بعضهم موقف الجامعة العربية بالصهينة.[42]

ح. وكرد فعل على تزايد الإرهاب الصهيوني المنظم ضد سكان فلسطين في الداخل, وتسارع وتيرة المفاوضات الدولية التي كانت تتجه نحو فرض قرار التقسيم, عقد مجلس الجامعة العربية دورته الخامسة في 30 أكتوبر 1946, وأبدا القادة العرب حزمهم هذه المرة على الخروج من نطاق القول إلى نطاق العمل, ومواجهة النضال بالنضال, فكان أن خرجوا بالتوصيات التالية: (أ) الاحتجاج على الحكومة البريطانية لسماحها باستمرار الهجرة اليهودية, (ب) الاحتجاج على الحكومة الأمريكية لتدخلها في القضية الفلسطينية, وإخلالها بالصداقة القائمة بينها وبين العرب, (ت) إرسال مذكرة إلى الحكومة البريطانية حول الإرهاب اليهودي, ومطالبتها بإمداد عرب فلسطين بوسائل الدفاع عن أنفسهم أو السماح للحكومات العربية بإرسال حرس مسلح يحميهم, (ث) إعلان رفضهم لكل مشروع يرمي إلى تقسيم فلسطين, والقيام بما يلزم للحفاظ عليها باعتبارها جزء حيويا من الوطن العربي الأكبر![43]

3. استبعاد الحل العسكري في إدارة الصراع

لم يكن خيار الحرب واردا لدى القرار الرسمي العربي أبدا حتى في أشد اللحظات حرجا. بعد إعلان بريطانيا قرار إنهاء انتدابها على فلسطين مباشرة, أدرك العرب أنهم لا محالة سيقفون وجها لوجه مع اليهود, فتم تشكيل لجنة فنية تابعة للجامعة العربية لتقييم الوضع العسكري داخل فلسطين, وقدمت تقريرها إلى مجلس الجامعة العربية, وكان تقريرا صادما بالنظر إلى حجم الفارق في الإعدادات العسكرية بين الفريقين. في الجانب اليهودي, كشف التقرير وجود ستين ألف شخص يهودي منتظم في المنظمات العسكرية الثلاث وهي الهجانا وأشتيرن والأرغون, وأنهم يمتلكون سلاحا جديدا وعتادا وافرا, ومعامل للذخيرة وإصلاح السلاح, وقيادة بارعة, وعددا كبيرا من الضباط المدربين, وخبرة قتالية مكتسبة من مشاركتهم في الحرب العالمية الثانية, وتوفرهم على إمكانات جلب السلاح. أما في الجانب العربي, فقد كشف التقرير أن السلاح المتوفر لدى عرب فلسطين ضئيل, وأكثره فاسد وغير صالح للاستعمال, فضلا عن قلة عدد المدربين.[44]

ولتدارك الموقف قدمت اللجنة الفنية جملة من التوصيات إلى الجامعة العربية منها: حشد الحكومات العربية بعضا من جيوشها على الحدود الفلسطينية, ومسارعتها إلى تسليح العرب الذين هم في مناطق اليهود للدفاع عن أنفسهم, وتدريب وتجهيز المقاتلين الشباب الاحتياطيين, وتوفير السلاح اللازم للحرب, وتشكيل قيادة عربية عامة لإدارة الحرب, وتقديم المساعدات المادية والمعنوية لعرب فلسطين لتمكينهم من الدفاع عن أنفسهم, ورصد مليون جنيه كدفعة أولى.[45] وقد تبنى مجلس الجامعة العربية هذه التوصيات, لكن عملية التنفيذ كانت مخيبة للآمال. فباستثناء سوريا التي التزمت بحصتها من المساعدات المالية, وسخرت إمكاناتها العسكرية لتدريب المقاتلين, لم تدفع العراق والأردن شيئا, كما كانت حصة مصر تافهة جدا, بل إن رئيس وزرائها النقراشي سجل تحفظه على مشاركة بلاده في هذه الترتيبات, وأن أقصى ما يمكن لحكومته أن تفعله هو الاشتراك في التظاهر على الحدود, إذ كان رافضا لفكرة الحرب من أساسها. وبالجملة, كانت المساعدات التي تقدمت بها الحكومات العربية –كما وصفها محمد عزة دروزة-بطيئة وتافهة جدا, كما كان بعض ما أُرسل من السلاح والعتاد قديما ورديئا وبعضه غير صالح بالمرة.[46]

عمليا, لم تبد الدول العربية استعدادها لخوض حرب نظامية لتحرير فلسطين, واكتفت بتشكيل لجنة فنية عسكرية تتولى تجهيز وتدريب الفلسطينيين, واتضح أن عبء العمل الجهادي سيقع على الفلسطينيين والمتطوعين العرب من الأقطار العربية, وأن قصارى ما ستفعله الحكومات هو شد الأزر وتقديم المساعدات بشكل غير رسمي, واكتفائها بالتربص والترقب على الحدود.[47] وعلى هذا الأساس دخلت القوات الشعبية المتطوعة المعركة ضد اليهود وهم من مجاهدي فلسطين والعرب المصريين والسوريين واللبنانيين والعراقيين والأردنيين, إلى جانب أفواج من جيش الإنقاذ الذي أرسلته الحكومات العربية لدعم الفلسطينيين, وكان نصف قواته من الفلسطينيين. وبالرغم من عدم التكافؤ في التجهيزات العسكرية, سجل المتطوعون انتصارات باهرة خلال الأشهر الأربعة الأولى.[48] لكن التدخل البريطاني وقلة العتاد الحربي لدى المجاهدين العرب قلب الوضع الحربي لصالح اليهود, وبلغ الوضع غاية من الخطورة, ولم تجد نفعا نداءات الاستغاثة والوفود التي سيرها المجاهدون إلى العواصم العربية. ووفقا لشهادة محمد عزة دروزة, كان في فلسطين حوالي عشرة آلاف مقاتل لم يكن ينقصهم غير العتاد وبعض الوسائل التي كان بإمكان الحكومات العربية مساعدتهم بها.[49] وفي غياب الدعم الرسمي العربي بلغت القضية الفلسطينية أسوأ اللحظات حرجا, وأخذ الرأي العام يهتاج ويطالب بوجوب تدخل الجيوش النظامية, وقامت المظاهرات المطالبة بالتدخل العربي, فاستجابت اللجنة السياسية بمجلس الجامعة باتخاذ قرار التدخل بتاريخ 12 أبريل1948.

---

[42] نفسه، ج2، ص41-42.
[43] نفسه، ج2، ص72-73.
[44] نفسه، ج1، ص102-103.
[45] نفسه، ج2، الصفحات: 74، 103، 104، 106.
[46] نفسه، ج1، ص117-118.
[47] نفسه، ج2، ص107.
[48] نفسه، ج2، 126
[49] نفسه، ص139-140.

حرب 48 بين التواطؤ والخذلان

إن الوقائع العسكرية التي كانت قائمة على الأرض قبيل حرب 48, والوثائق التاريخية الشاهدة على المرحلة, تؤكد أن الموقف الرسمي العربي لم يكن جادا في معركة التحرير. هذا الموقف السلبي كان يمثل السمة المشتركة بين الدول العربية المشاركة آنذاك, لكن قسما من هذه الدول كان قد تجاوز حدو السلبية إلى الانخراط في مسلسل التآمر والخيانة المبيتة في الوقت الذي كان يُظهر فيه أمام الرأي العام العربي استماتته واستعداده للاستشهاد في سبيل تحرير الأرض المقدسة, وهذه بعض الشواهد الدالة:

1. غياب الاستعداد الجدي للحرب

تؤكد الوقائع الميدانية عدم جدية العرب في خوض تلك الحرب التي أعلنوها وهم لها كارهون, وهو ما ظهر جليا على مستوى الاستعدادات العسكرية الضعيفة, والارتجالية التي اتسمت بها الخطة العسكرية ذاتها. ومع أهمية قرار مجلس الجامعة العربية بالتدخل العسكري, إلا أنه ولد ميتا, فقد أراد القادة العرب لهذه الحرب أن تكون رمزية أكثر منها حربا حقيقية. في منتصف يوليوز 1948 بلغ عدد أفراد المقاتلين في الجيش الإسرائيلي 65000, وفي دسمبر من نفس السنة ارتفع إلى 96000. وبالمقابل, كان مجموع القوات العسكرية التي جردتها الدول العربية الخمسة لخوض حرب التحرير في حدود 25000 مقاتل, و4000 متطوع. هذا من حيث العدد. أما من حيث التجهيز والتنظيم, فقد كان الجيش الإسرائيلي على درجة عالية من الفعالية والتجهيز. وبالمقابل, كان الجيش العربي يفتقر إلى التدريب, والتسليح, وغير منظم, وبدون خطة عمل إجرائية موحدة.[50] أما الجيش السوري فقد كان حديثا ويفتقر إلى التدريب, لكن المعضلة الكبرى كانت في الجانب الأردني حيث كشف عبد الله التل في مذكراته, ومن موقع عمله ضابطا في الجيش العربي الأردني, أن هذا الجيش كان تحت السيطرة البريطانية الكاملة, وكان الفريق جون كلوب البريطاني قائده العام, وكان ضباطه العسكريون بريطانيون, ولم يكن يسمح بوجود الضباط الأردنيين في المراكز الحساسة التي من شأنها أن تمكنهم من الاطلاع على الأسرار العسكرية, كما يدل على ذلك الجرد الذي قدمه بأسماء ضباط الجيش الأردني العربي الذين دخلوا فلسطين, ورتبهم العسكرية, وكلهم بريطانيون.[51]

2. عدم التفاق على خطة عسكرية موحدة

وفيما يتعلق بالخطة العسكرية, فقد كانت غاية في الإرباك لعدم وجود قيادة عسكرية عامة للجيوش العربية, وانعدام الاستخبارات العسكرية. لكن المفاجأة التي أربكت كل الحسابات العسكرية جاءت من ملك الأردن, فبعد ثلاثة أيام من بدء الحرب, وتحديدا في تاريخ 19 ماي 1948, رفض تطبيق الخطة المتفق عليها, والتي كانت تقضي بفصل شمال فلسطين عن جنوبها لعزل المستعمرات اليهودية,[52] وتم عقد اجتماع طارئ بهذا التاريخ في درعا حضره رجال الحكومات وقادة الجيوش العربية, وأصر الملك على تعديل مسار الجيش السوري للزج به في منطقة سمخ وطبرية, وهي أشد المناطق اليهودية استحكاما وتحصينا, وبذلك نجحت مؤامرة القائد الإنجليزي كلوب, والتي نفذها الملك عبد الله في تدمير الجيش السوري الذي خسر كثيرا من ضباطه وجنوده, وهو ما مكن اليهود من إحكام سيطرتهم على المنطقة.[53]

3. التواطؤ مع القيادات الصهيونية

كان هذا التواطؤ واضحا في تصرف حكام البيت الهاشمي خاصة في العراق والأردن, وتدخلهما السافر في توجيه سير المعارك, وحصر انتشار جيشيهما في المناطق العربية وفقا لقرار التقسيم, وتواطؤهما مع كل من الاحتلال البريطاني والعدو الصهيوني على ضمان حق اليهود في تأسيس دولتهم على أرض فلسطين. ثمة حقائق تاريخية موجعة للضمير العربي والإسلامي جديرة بالتذكير في هذا المقام, ونكتفي بالإشارة إليها مجملة مع الإحالة إلى مظان توثيقها.

أ. وفقا للشهادات الحية التي وثقها عبد الله التل من موقع منصبه كضابط في الجيش الأردني, ومن موقعه أيضا كقائد لمعركة القدس وحاكما عسكريا لمنطقة القدس, كانت الخيانة العظمى في الجانب الأردني حيث تم تكليفه بأمر مباشر من الملك عبد الله بتولى مهمة التنسيق لاتفاقيات سرية بينه وبين قادة الصهاينة في الوكالة اليهودية الدولية. وقد جرت بعض هذه الاتفاقيات قبيل موعد انتهاء الانتداب البريطاني بقليل, **وكان الهدف منها تقديم ضمانات لليهود بالتزام الأردن بقرار التقسيم وتعهده بتنفيذه,** وهو ما تم في الاتفاق الأول بتاريخ 13 أبريل 1948 بإحدى المستعمرات اليهودية بجسر المجامع على الحدود الأردنية الفلسطينية, وكانت مباشرة بين الملك وبين كل من "شرتوك" القيادي اليهودي الذي كان يشغل آنذاك منصب رئيس الوكالة اليهودية, والقيادي اليهودي المعروف بين العرب بـ "أبو يوسف", قائد عصابة الهجانا على الحدود الأردنية, واسمه الحقيقي "دسكر".[54]

أما الاتفاق السري الثاني فكان بتاريخ 11-12 ماي 1948, أي قبل ثلاثة أيام من موعد انسحاب بريطانيا ودخول القوات العربية إلى فلسطين, **وكان الغرض منه رغبة اليهود في الاطمئنان على التزام الملك عبد الله بوعده في الاتفاق السابق مقابل موافقة الوكالة اليهودية على ضم القسم العربي من فلسطين إلى التاج الهاشمي**, وتم بشكل مباشر بين الملك عبد الله,

---

[50] Kramer, *A History of Palestine*, p. 316.

[51] عبد الله التل، (1990)، *كارثة فلسطين، منكرات عبد الله التل، قائد معركة القدس*، ط2، 1990، دار الهدى، د.ت. ص81 وما بعدها.

([52]) للاطلاع على تفاصيل الخطة، ينظر: كارثة فلسطين، مرجع سابق، ص80-81.

([53]) نفسه، ص190-192، وكذلك: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، مرجع سابق، ج2، ص153.

([54]) كارثة فلسطين، مرجع سابق، ص 65.

وغولدا مايير سون, القيادية البارزة في الوكالة اليهودية.[55] وهذه الاتفاقيات السرية باتت محل اعتراف من قبل المؤرخين الغربيين أيضا,[56] وهي تتفق تمام الاتفاق مع ما وثقته المصادر العربية الشاهدة على تلك الأحداث.

ب. ومن الوقائع الدامغة التي تؤكد هذه الحقيقة أيضا, ما وثقه عبد الله التل بخصوص إجراءات عبور جيش الإنقاذ العربي إلى فلسطين, حيث عبر الفوج الأول إلى درعا بتاريخ 1948/1/9 والثاني بتاريخ 1948/1/25, بموافقة بريطانيا استجابة لطلب الحكومة الأردنية التي بررت طلبها بخشية من أن ينفضح أمرها بين العرب, وكانت الموافقة البريطانية مشروطة بـ**ألا يمر الفوج الأول إلى منطقة القدس بل إلى منطقة عربية بحسب مشروع التقسيم, وألا يحارب الفوج الثاني في فلسطين إلا بعد جلاء بريطانيا عنها, وألا يعسكر إلا في أرض عربية بحسب قرار التقسيم"**.[57]

ت. كشف سير المعارك على الأرض, والوقائع المدونة ميدانيا, عن واحدة من كبريات الخيانة الرسمية حيث أريد للجيوش العربية أن تقوم بمهمة تثبيت مشروع تقسيم فلسطين بين العرب واليهود, فتم حصر وجود الجيوش العربية في حدود المناطق المخصصة للعرب.[58] وقد تمت هذه العملية في أقل من أسبوعين ودون أية صعوبات تذكر, لتتوقف وبشكل مفاجئ عند هذه الحدود دون أن تتخطاها, وهو اللغز الذي حير يومئذ الكثير من المناضلين العرب والمتطوعين المقاتلين الذين كانوا في ميدان القتال. ووفقا لمذكرات محمد عزة دروزة وعبد الله التل, فإن العرب قرروا دخول الحرب وهم متيقنون بأن تدخلهم كان لإنقاذ الأقسام العربية ولن يتعداها إلى غيرها بحيث يكون الزحف العربي وسيلة من وسائل تنفيذ قرار التقسيم ومنع اليهود من اكتساح القسم العربي. لقد كانت سيطرة الجيوش العربية على القسم العربي سيطرة سلمية ودونما معارك تذكر. وأما فيما يتعلق بالمناطق التي أفردها قرار التقسيم لليهود, فلم ينجح الجيش العربي في زحزحتهم عن مدينة واحدة من المدن التي استولوا عليها.[59] ولذلك, لم يقع بين الجيوش العربية واليهود معارك كبرى بالمعنى الحقيقي باستثناء معركة القدس التي قادها عبد الله التل بعد تمرده على أوامر القائد العام للجيش الأردني جون كلوب,[60] والتي سجلت أروع البطولات في تاريخ الجهاد الفلسطيني, وانتهت بتدمير المعسكر اليهودي في القدس واستسلامه إلى حين تدخل القرار الرسمي العربي بإنقاذ الموقف بقبول الحكام العرب الهدنة مع الكيان الصهيوني.

ث. في اليوم الثاني من وصول الجيش العراقي, اشتبك مع اليهود في مستعمرة "كيشر", وعندما أوشكت المستعمرة اليهودية على السقوط, أصدر رئيس أركان الجيش العراقي الأمير عبد الإله أمرا بانسحاب الجيش من **منطقة جسر المجامع لأنها كانت مخصصة لليهود إلى نابلس المخصصة للعرب وفقا لقرار التقسيم**, ومن يومها بقي الجيش العراقي ثابتا في المواقع المخصصة للعرب طوال مدة الحرب, ولم يشتبك في أية معركة هجومية ضد المناطق اليهودية, وبذلك حرم حكام العراق الخونة –على حد وصف عبد الله التل-الجيش العراقي الباسل من القيام بواجبه المقدس.[61]

ج. تفيد الوقائع التي وثقها عبد الله التل أيضا أن الملك عبد الله نفسه كان مجرد أداة لتنفيذ الأوامر العسكرية البريطانية كما حدث في معركة القطمون حيث رفض طلب النجدة الذي تقدم به شخصيا إلى الملك عندما أرغمه القائد العام كلوب على الانسحاب من المعركة لفائدة اليهود. لقد جاء الرد الملكي بالامتثال لأمر القائد الإنجليزي **باعتبار أن جميع وحدات الجيش العربي في فلسطين إنما وجدت هناك بأمر من الإنجليز وتحت إشرافهم التام**.[62] وفي حادثة مماثلة, أصدر الملك أمرا إلى نجله الأمير طلال بوقف تدخل الجيش العربي ضد مستعمرة "جيشر" بأمر من المندوب السامي البريطاني, واحتل اليهود القلعة.[63]

إن هذه العينة من الأحداث تؤكد مجتمعة بأن المهمة التي دخلت من أجلها الجيوش العربية إلى فلسطين, أو قسم مهم منه على الأقل, كانت محددة في حماية المصالح اليهودية, والحيلولة دون أي عمل عسكري عربي موجه ضدهم, وهو ما يفسر كثيرا من الحوادث المربكة التي أدت إلى إجهاض كلي للزحف العربي بسبب التعليمات العسكرية المعادية التي كانت يصدر كلوب باشا, القائد العام للجيش العربي الأردني, وكانت تعمل ميدانيا على فك الحصار عن اليهود, وتخليصهم من قبضة المجاهدين, وتهديد الجنود العرب الممتنعين عن الانسحاب بالقصف المدفعي, والزج بالجيش العربي في معارك مخطط لها سلفا لتقديمهم قربانا للعصابات اليهودية, وتسييرهم على الأقدام لمسافات طويلة, ومنعهم من النوم والراحة بقصد إرهاقهم قبل الزج بهم في معارك القتل المدبر, وتَعَمُّدِ حرمانهم من السلاح المكافئ للعدو, وعدم كشف مواقع الهجوم لتضليلهم عن أهدافهم, وإصدار التعليمات إلى الضباط العسكريين بالامتناع عن أي اشتباك مع اليهود أو التعرض لهم بشكل من الأشكال...[64]

([55]) نفسه، ص، 66-67.

Smith, *Palestine and the Arab-Israeli Conflict*, p. 199. See also: Jemes Lunt, Hussein of Jordon, op. cit. Introduction, xxxiii.

)57(Ibid, Introduction, xxxiii.

)58(Kramer, *A History of Palestine*, p. 317.

([59]) القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، مرجع سابق، ج2، ص164.

([60]) نفسه، 88-141.

[61] نفسه، ص189.

[62] نفسه، ص21.

[63] نفسه، ص22.

[64] كارثة فلسطين، ص 29. وقد وثق عبد الله التل العديد من الوقائع التي تدل على تورط الضباط الإنجليز في مسلسل الخيانة الممنهجة كما حصل في مستعمرتي قلندية والنبي يعقوب، ومعركة الشيخ جراح، ومعركة النوتردام، وجبل سكوبس، ومستعمرة الخمسة، وقلعة النطرون، والغدر بالجيش المصري في قلعة عرطوف والنقب والفالوجة، وتجريد المقاتلين الفلسطينيين في القدس من سلاحهم، ومطاردة قوات الجهاد المقدس من القدس، وهي القوة الفلسطينية التي ظلت تقاتل اليهود منذ تشكيلها سنة 1936 بقيادة الشهيد عبد القادر الحسيني. ومع شدة المآسي التي أصابت هذه المناطق، تبقى مأساة تسليم اللد والرملة وذبح أهلها أشد المآسي وأكثرها جرما. ينظر: الصفحات: 149-435 من الكتاب المذكور.

القبول العربي بالهدنة وميلاد الدولة اليهودية

عندما تمكن عبد الله التل من إحكام سيطرته على القدس, وأحكم حصار اليهود الذين استسلموا تحت القصف والهدم والجوع والعطش, جاء القرار الرسمي العربي ليدق آخر إسفين في الجسد الفلسطيني بقبول قرار الهدنة التي أعلنت رسميا ولادة دولة الكيان الصهيوني الغاصب. وفي الواقع يعتبر قبول الحكومات العربية بقرار الهدنة مثيرا للشكوك حول النوايا الحقيقية لهذا القرار الذي يعتبر بالفعل القشة التي قسمت ظهر العرب وأضاعت فلسطين, إذ لم يكن هناك أي مبرر منطقي يقتضي قبول الهدنة حيث كانت المبادرة بيد الجيش العربي الذي يحاصر مائة ألف يهودي في القدس أهم معاقلهم, ويهددهم بالفناء. وسرعان ما تكشفت خيوط المؤامرة حيث تبين استغاثة اليهود بحليفتهم بريطانيا, ليتَقَدَّم على إثرها المندوب البريطاني لدى مجلس الأمن باقتراح لوقف الهدنة لمدة أربعة أسابيع, وهو ما أقره المجلس بتاريخ 29 مايو 1948. كانت المؤامرة البريطانية تهدف إلى منع تقدم الجيوش العربية واكتساح المناطق التي أفردها قرار التقسيم لليهود, وهو ما تم التمهيد له قبل صدور قرار الهدنة حيث اجتمعت اللجنة السياسية للجامعة العربية في عمان بتاريخ 25 مايو 1948 لتستمع إلى قرار الوفد الأردني بلسان كلوب بوقف الحرب تحت ذريعة النقص في الذخيرة والمعدات. وعندما فند أعضاء الوفود العربية ادعاء الوفد الأردني, هدد رئيسه توفيق أبو الهدي بالانسحاب من الجامعة العربية ما لم تقبل الهدنة, وانصاعت الدول العربية بحكم موقع الأردن من فلسطين ومجاراة العراق له في موقفه, بالرغم من معارضة العسكريين الذين حذَّرُوا من عواقب الهدنة واستثمارها لصالح اليهود.[65] وقد صدقت توقعات المعارضين حيث استغل اليهود الهدنة للتمكن عسكريا بالتموين والتحصينات العسكرية, وسياسيا بالسعي لكسب الاعتراف الدولي بدولتهم التي اعترف بها أزيد من عشرين دولة, ليضربوا بعدها بقرار الهدنة عرض الحائط, ويواصلوا تدمير القدرات العربية, لتعود إثرها الحكومات العربية إلى عادتها القديمة في الشجب وإصدار بيانات الاحتجاج والشكوى من خرق الهدنة المتكرر من قبل اليهود.[66] وبقبولهم الهدنة, يكون الحكام العرب قد خسروا المعركة نهائيا, وأتاحوا لليهود فرصة الدهر للتمكين التام لدولتهم, وأضاعوا فرصة تحرير فلسطين, حيث دخلت الحكومات العربية الواحدة تلو الأخرى في اتفاقيات الهدنة المنفردة والدائمة مع الدولة اليهودية, وضمن شروط مهينة ومذلة سياسيا, ومجحفة في حق العرب والمسلمين, حيث كسب اليهود من خلال مفاوضات الهدنة أقصى ما أرادوا من الأراضي العربية, بل وغدت مفاوضات الهدنة مناسبة لتمدد الحدود الإسرائيلية وتوسعها. ولقد كان أكثر ما استفز المؤرخين الذين عاصروا هذه الوقائع تلك المواقف المشينة وغير المبررة للحكام العرب أثناء مفاوضاتهم الثنائية مع اليهود, وانسحاب جيوشهم وهي تتجرع عار الهزيمة التي جرتها عليهم قيادتهم السياسية.

الخاتمة

بعد هذا العرض التاريخي الموجز للحراك النضالي الفلسطيني, يمكن أن نسجل جملة من الاستنتاجات المركزة التي تختصر أهم معالم التحولات السياسية التي أدت في نهايتها إلى نكبة فلسطين, ومهدت الطريق للاعتراف بالكيان الصهيوني لاحقا.

أ. إن الحراك النضالي الذي شهدته فلسطين كان يعبر عن عمق جماهيري شعبي تكاثفت فيه الشعوب العربية التي عبرت عن تضامنها الفعلي من خلال الانخراط في العمل المسلح تحت قيادة مركزية شعبية مشدودة إلى الداخل الفلسطيني, وكانت تشكل النواة الصلبة لهذا الحراك.

ب. على المستوى الرسمي, اتسم الحراك السياسي العربي بقدر كبير من اللامبالاة, وراهن على صداقة العرب الوهمية للاحتلال البريطاني المدعومة أمريكيا لحل القضية الفلسطينية. وفي تجاهل شبه كامل للتحديات العسكرية اليهودية والمواقف الدولية الداعمة لهم, جاء الموقف العربي الرسمي رخوا وغير آبه بحالة الاحتقان العربي, واكتفى بخوض حرب البيانات التي لم تتجاوز حدود التنديد والاحتجاج المشفوع بإظهار الخنوع.

ت. أدى التدخل الرسمي العربي في الثورات الشعبية إلى إجهاضها, وهو ما يمكن اعتباره انتكاسة تاريخية في مسار الثورة الفلسطينية. ويمكن عزو السبب في قبول الثوار بالوساطة العربية إلى الوعود الزائفة بنجاعة الوساطة العربية التي أوحت إلى الثوار باعتبار القضية الفلسطينية قضية الأمة العربية ككل وفقا لما ورد في تصريحات الزعماء العرب, مما فتح بعض الآمال لتحقيق مكاسب الثورة خاصة بعد التعهد البريطاني بوقف الهجرة اليهودية. كما يمكن عزو ذلك أيضا إلى تهديد الحكام العرب بالتخلي عن تقديم أي دعم عربي لمطالبهم في حال عدم استجابتهم, وعدم قدرتهم على مواجهة تلك الضغوط, خاصة وأن الثوار كانوا في حالة من الإنهاك الشديد بسبب الإجراء القمعية للاحتلال البريطاني.

ث. إن هذا الموقف السلبي مثل ثابتا في السياسة العربية الرسمية, وأظهر ضعف العرب أمام اليهود وأما المجتمع الدولي. وبالمقابل, مكن اليهود من استثمار حالة الغفلة العربية وغيابهم الفعلي في تقوية قدراتهم العسكرية على أرض الواقع, وأهلتهم في النهاية لحسم قضيتهم بقوة السلاح إلى جانب نشاطهم السياسي عالميا.

[65] كارثة فلسطين، مرجع سابق، ص201 وما بعدها.
[66] القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، مرجع سابق، ج1، ص162 وما بعدها.

ج. عندما صدر قرار تقسيم فلسطين, واجهه الحكام العرب كعادتهم بالاحتجاج الدبلوماسي والتنديد بالقرارات البريطانية والدولية المجحفة في حق العرب في الخارج, دون القيام بأي عمل جاد يتناسب مع خطورة الوضع ومتطلبات المرحلة التي كانت تقتضي تقديم الدعم العسكري للمجاهدين الفلسطينيين والعرب, وتجهيزهم بما يمكنهم من إنقاذ الأرض وإفشال قرار التقسيم.

ح. إن تلكؤ الموقف الرسمي العربي كان يعكس في الواقع عدم استعداد الحكومات العربية لخوض الحرب. أما الإعدادات العسكرية العربية المحتشمة للحرب النظامية, فقد أراد لها الساسة العرب أن تكون رمزية أكثر منها حربا حقيقية.

خ. كان الهدف المعلن رسميا من الحرب من قبل القادة العرب تحرير فلسطين وحفظ عروبتها, لكن قابلات الأيام وسير المعارك على الأرض أثبتا أن المهمة الأساسية للجيوش العربية كانت أساسا لتثبيت مشروع تقسيم فلسطين بين العرب واليهود, حيث تم حصر وجود الجيوش العربية في حدود المناطق المخصصة للعرب وفقا لقرار التقسيم.

د. بعد إعلان الحرب, خضع الحكام العرب للضغوطات البريطانية للقبول بالهدنة ووقف القتال, وذلك لمنع تقدم الجيوش العربية واكتساح المناطق التي أفردها قرار التقسيم لليهود. وبالرغم من خطورة تداعيات الهدنة على مستقبل القضية الفلسطينية, فقد رضخ العرب للمطالب البريطانية, وقبلوا بالهدنة التي كانوا قد رفضوها أول الأمر واعتبروها إخلالا بالشرف.

ذ.كشفت حرب 48 خيانة العديد من القيادات العربية, كما أن جزء كبيرا من الجيوش العربية المشاركة في تحرير فلسطين كانت مخترقة بالكامل, وخاضت معركة فلسطين تحت الإمرة الفعلية للضباط الإنجليز الذين كانوا يعملون على حماية المصالح اليهودية والحيلولة دون أي عمل عسكري موجه ضد اليهود, وهو ما يفسر الكثير من الوقائع المريبة والمربكة التي شابت زحف الجيوش العربية.

كانت هذه بعض الوقائع الكاشفة التي من شأنها أن تقدم صورة مختصرة لطبيعة الأداء الرسمي العربي, وتحديدا فيما يتعلق بمجهوده الحربي, وذلك بالقدر الذي يكشف عن الملابسات السياسية والعسكرية التي أضاع فيها الحكام العرب فلسطين, والتي أظهرت حجم تراخيهم وعدم جديتهم إلى جانب استعار خلافاتهم التي وصلت ببعضهم إلى حد الخيانة والتواطؤ مع العصابات اليهودية, وارتهانهم الدائم للإرادة الاستعمارية البريطانية التي ظلت لها السيادة على المواقف والسياسات العربية في السلم والحرب. ونتيجة لهذه المعطيات, انتهت المناورات العربية بسقوط فلسطين عام النكبة, وقبول الحكومات العربية الواحدة تلو الأخرى بالهدنة المنفردة والدائمة مع الدولة اليهودية, وضمن شروط مهينة ومجحفة حيث كسب اليهود من خلال مفاوضات الهدنة مزيدا من الأراضي العربية, بل وغدت مفاوضات الهدنة مناسبة لتمدد الحدود الإسرائيلية وتوسعها.

References

al-Tall, ʿAbdallāh (1990), *Kārithat Filiṣṭīn, Mudhakkirāt ʿAbdallāh al-Tall Qāʾid Maʿrakat al-Quds*, 2nd edition, Dār al-Hudā.

al-Kayyālī, ʿAbd al-Wahhāb (1968), *Wathāʾiq al-Muqāwamah al-Filiṣṭīniyyah al-ʿArabiyyah Ḍidda al-ʾIḥtilāl al-Barīṭānī wa al-Ṣahyūnīyyah (1918-1939)*, Silsilat al-Wathāʾiq al-ʿĀmmah, Muʾassasat al-Dirāsāt al-Filiṣṭīniyyah, Beirut, wa Jamʿiyyat Ṣundūq Filiṣṭīn.

Anglo-American Committee of Inquiry (1946), *Report to the United States Government and His Majesty's Government in the United Kingdom*, Lausanne, Switzerland April 20, 1946. United States Government Printing Office, Washington 1946. http://bit.do/fbcPt (20/08/2019)

ʾAyyūb. Samīr (1984), *Wathāʾiq ʾAsāsiyyah fī al-Ṣirāʿ al-ʿArabī al-Ṣahyūnī*, 1st edition, Beirut: Dār al-Ḥadāthah li al-Ṭibāʿah wa al-Nashr wa al-tawzīʿ.

Cohen, Michael (2014), *Britain's Moment in Palestine. Retrospect and Perspectives*, 1917–48, New York: Routledge.

Darwazah, Muḥammad ʿIzzat (1959), *al-Qaḍiyyah al- Filiṣṭīniyyah fī Mukhtalaf Marāḥilihā*, 2nd edition, Beirut: Manshūrāt al-Maktabah al-ʿAṣriyyah.

Kramer, Gudrun (2011), *A History of Palestine, from the Ottoman Conquest to the Founding of Israel*, New Jersy: Princeton University Press.

Lunt, James (1989), *Hussein of Jordon, a political biography*, London: Macmillan.

Masalha, Nur (2012), *The Palestine Nakba, Decolonizing History, Narrating the Subaltern, Reclaiming Memory*, London & New York: Zed Books.

Royal Commission (1937), *Palestine Royal Commission Report*, https://palestinianmandate.files.wordpress.com/2014/04/cm-5479.pdf.

Smith, Charles D. (2013), *Palestine and the Arab-Israeli Conflict, A history with Documents*, 8th edition, Bedford: St. Martin's.

The Secretary of State for the Colonies (1946), *Palestine. Statement of Information relating to Acts of Violence*, His Majesty's Stationery Office London, retrieved 25th August 2019, http://bit.do/fbb6R.